



جامعة يحيى فارس المدية
Université Yahia FARÈS Médéa
مختبر تعليمية اللغة والنصوص (م.ت.ل.ن)
Laboratoire de Didactique de la Langue et des Textes
المنصة الجزائرية للبحوث العلمية
Plate-forme Algérienne des Revues Scientifiques



مقاربات النسق الصوتي للفواصل القرآنية نماذج تطبيقية

Approaches to the phonetic system of Quranic pauses: applied models

ناعوس بن يحيى

benyahia.naous@univ-relizane.dz

جامعة غليزان (الجزائر)

مجلة تعليميات

ردمك: 2253-0436

رقم الايداع القانوني: 2460-2012

رت م د إ: 7002-2600

المجلد 14 العدد 02 جويلية – ديسمبر 2025 الصفحة 235-244

المرجع: ناعوس بن يحيى، «مقاربات النسق الصوتي للفواصل القرآنية نماذج تطبيقية»، تعليميات المجلد 14 العدد 02 جويلية – ديسمبر 2025 ، ص: 235-

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/300244>

مقاربات النسق الصوتي للفواصل القرآنية نماذج تطبيقية

Approaches to the phonetic system of Quranic pauses: applied models

ناعوس بن يحيى

benyahia.naous@univ-relizane.dz

جامعة غليزان (الجزائر)

الاستلام: 2025 /06 / 15 القبول: 2025 /10 /26 النشر: 2025 /12 /31

ملخص:

مما هو معلوم أن نقر بأن هذا التميز الصوتي الذي امتازت به اللغة العربية لا يجعل منها شاذة لا يمكن موازنته أو تفاعله مع غيره من الفكر اللغوي البشري، ومن هنا يمكن لنا في هذا البحث أن نمشي عبر مستقيمين متوازيين وأن نقيم بين هذين الحقلين «حوار متميز بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر اللساني الحديث على أساس القرض والاقتراض رغم انتماء الفكرين إلى حقلين نظريين متباينين» (أحمد المتوكل،)، معنى ذلك أن نظرية التأثير والتأثر قد تحدث بين قطبين لغويين دون مراعاة الحدود الزمانية والمكانية لهذين القطبين، وقبل الولوج في صميم هذا الإشكال أولاً نتعرف على سبل المقاربة العلمية لهذه الظاهرة الصوتية فما هي الأسس العلمية التي بني عليها البحث الصوتي؟ وماهي سبل الولوج إلى خصائصه؟ هذه الأسئلة وغيرها سيجيب عنها البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الحدود، نظرية، التأثير، التأثر، اللساني، الفكر

Summary:

It is well known that this phonetic distinction that distinguishes the Arabic language does not make it anomalous that cannot be balanced or interacted with other human linguistic thought. Hence, in this research, we can walk along two parallel lines and establish between these two fields “a distinct dialogue between ancient Arabic linguistic thought and modern linguistic thought based on borrowing and borrowing, despite the two thoughts belonging to two different theoretical fields.” This means that the theory of influence and being influenced may occur between two linguistic poles without taking into account the temporal and spatial boundaries of these two poles. Before delving into the heart of this problem, we first learn about the ways of scientifically approaching this phonetic phenomenon. What are the scientific

foundations on which phonetic research is built? And what are the ways to access its characteristics? These questions and others will be answered by the research according to the descriptive and analytical approach

Keywords : boundaries, theory, influence, influence, linguistic; thought

مقدمة

لامس الدرس اللساني الحديث عامة، والعربي خاصة آليات مستحدثة تفرز لنا نتائج دقيقة، لتصحيح تلك النتائج التخمينية المبنية على الحس المرهف أحكامًا ونتائجًا، ولتحقيق تلك النتائج اليقينية على اللغة أن تدخل حيز العلوم الطبيعية، وتخضع إلى التجربة، لكن ما وصلت إليه الآلة لم يمكنها من التشكيك في صلاحية النتائج التي توصل إليها علماء اللغة قديمًا؛ بل والأكثر من ذلك أصبحت، بمثابة المادة الأولية لبناء معرفتهم الحديثة. فما هي الأسس العلمية التي بني عليها البحث العلمي الصوتي؟ وماهي الأنساق العلمية التي ركز عليها؟ هذه الأسئلة وغيرها البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي.

مقدمة: لا ريب أن قضية التجانس، وعلاقته بتألف الحروف مع بعضها بعض داخل النسق، وقلنا بأنّ الجناس هو: «مجانسة لفظة لأخرى و أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها، وقال الخليل الجنس لكل ضرب من الناس والطير، والعروض، والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشترك منها أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى»، هذا التجانس نعتبره بمثابة تشابه الأنساق اللفظية، ونحن الآن نود البحث في قضية النسق الواحد وكذا استكشاف تلك القوانين التي سنهها القدامى وجاء بها القرآن الكريم التي تضمن للنسق بلوغ مبالغ الفصاحة والبلاغة، وخصصنا الحديث هنا عن نسق الفواصل القرآنية.

وكذا البحث في متطلبات ومقتضيات التلازم النغمي للفواصل القرآنية، فقد انفرد القرآن الكريم بهذا الوجه الإعجازي «فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها، أو أبدل بغيره، أو أقحم معه آخر، لكان ذلك خلا بينا في نسق الوزن، وجرس النغمة، وفي حس السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج، وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ولرايت لذلك هجنة في السمع، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاءه على ترتيبها ولم تتفق على طبقاتها، وخرج بعضها طولًا، وخرج بعضها عرضًا» (مصطفى صادق الرافعي، 1973)، وهنا يتحدث الرافعي عن قضية مهمة جدًا، إذ يُقر بأنّ القرآن الكريم لا يقبل الحذف أو الإبدال أو الإدغام، كما يثبت هذا النص

حقيقة لغوية وهي أنَّ النسق الصوتي خاصية من خصائص بناء الخطاب القرآني وأتته ميزة انفرد بها الذكر الحكيم دون غيره من الخطابات.

يتشافع هذا الانفراد النسقي مع نوع من الأسلوبية الصوتية لم يشهدها العرب قبل نزول القرآن الكريم، فقد امتاز « باتساقه وائتلاف حركاته وسكناته، ومَدَّاته، وغمَّاته، واتصالاته، وسكناته، ذلك ما يسترعي الأسماع، ويستهيوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منطوق أو منثور » (أمين بكري شيخ)، من هنا يمكننا أن نطرح تساؤلاً من شأنه فك مغاليق هذه الفكرة وتجليتها، فأين تكمن إعجازية النسق القرآني للفواصل ؟

فلو تدبرنا هذه الخصوصية الإعجازية التي ازدانت بها مفردات القرآن ولاسيما الفواصل منها، « لرأيت حركتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فريئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، متساوقة معها في النظم الموسيقي » (مصطفى صادق الرافعي، 1973)، وكأَنَّها سلسلة كلامية محكمة الربط بين حلقاتها، فإذا سَقَطَ الجزء حتماً سَيَسْقُطُ الكل.

هذا الترابط المحكم في نظمه، لا يكمن فقط في الحرف بل حتى للحركة نصيب من ذلك « حتى إنَّ الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيَّها كان، فلا تغدُب ولا تصاغ، ربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبيًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفها بضروب من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه » (مصطفى صادق الرافعي، 1973)، لقد كان هذا الإقرار الذي انتهى إليه الرافعي والذي يُفضي بنا إلى مفهوم جديد هو أنَّ للحرف أو الحركة مهما كان يتصف بسِمات الخفة والثقل ستتغير تلك

الميزات بموجب استعمالها في السياق القرآني، فيُهدُّ له من قبل نُطقه، وذلك لما تهيئ له من مُكنات وقوانين قننت الملفوظ القرآني، ولعلَّ القراءات الحديثة للقرآن الكريم خير دليل يُستدل به في مقامنا هذا، وما نقصده هنا هو إعجازية الأنساق الصوتية القرآنية.

وهذه الإعجازية التي تكمن في عدَّة أوجه من أوجه الإعجاز القرآني ولا سيما المستوى الصوتي منها، قَسَمها علماء اللغة القدامى أمثال ابن جني، في كتابه "سر صناعة الإعراب" إلى أقسام إنَّما تقع في نمط تأليف الملفوظات وهو على ثلاثة أضرب: « أحدها: تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب في كلام العرب، والثاني الحروف المتماثلة، وهو ما يلي الأولى في الحسن والثالث:

الحروف المتقاربة، فإمّا رفض وإمّا قل استعماله، وإنّما كان أقل من المتماثلين، وإن كان فيهما ما في المتقاربين وزيادة، لأنّ المتماثلين يحفان بالإدغام» (ابن جني، 1954)، نفهم من ذلك أنّ المفردات العربية، منها ما هو هجين أو مهجور لثقل تلفظه، وذلك إنّما يعود إلى سببين:

فإمّا بسبب تقارب مخارج أصواتها

أو اتحاد صفات أصواتها.

وهذا ما أكّده بهاء الدين السبكي حين قال: «ويشبه استواء تقارب الحروف وتباعدها في تحصيل التنافر استواء المثلين اللذين هما في غاية الوفاق، والضدين اللذين هما في غاية الخلاف، وحيث دار الحديث بين الحروف المتباعدة والمتقاربة، فالمتباعدة أخف» (أحمد أبو زيد)، المعنى من ذلك هو أنّ تباعد المخرج والصفة داخل النسق اللفظي يضمن له بلاغته وفصاحته.

فإذا تأملنا القرآن الكريم، وانتهينا إلى أقوال علماء اللغة في بلاغة نظمهم وحسن سماعهم، فلنا وقفة تأمل أخرى في قول الشعراء ليس موازنة منا بين هذا وذاك، وإنّما من قبيل مفاضلة القرآن عن كلام البشر يقول الشاعر:

« فَأَحْذَرُ وَلَا تَكْثُرُ كَرِيًّا أَعُوجًا ... عِلْجًا إِذَا سَاقَ بِنَا عَقْنَجَا » (ابن جني، 1976)

عند قراءة هذا البيت الشعري ستشعر وكأنّ لسانك ثقل في النطق بحروف هذا البيت، ومرد ذلك هو فقدان التوازن والتراتب الصوتي ضمن اللفظة الواحدة، وهذا ما أنقص من بلاغته، فالشاعر هنا أهمل الجانب النسقي للمفردات، على غرار الذكر الحكيم، فهو يعدّ بمثابة « غريال لأصوات العربية، ومصفاة لها أخرجت منها ما ينبو عنه السمع وما يثقل على اللسان، والناظر في هذا الكتاب الكريم يجد بين دفتيه أمثلة ناصعة للنقاء الصوتي والسلاسة وتجسيد المعنى عن طريق الصوت بصورة متميزة، بل متفردة لا نجد لها مثيلا في أرقى مستويات الفصاحة اللغوية لهذه اللغة» (محمد محمد داود)، ولتوضيح ذلك، فلنتأمل بعض سور القرآن.

ننظر إلى آياته وعمق معانيه، وما تمخض عن ذلك التواشج الحرفي مع مؤداه الصوتي، وطبيعة موسيقاه خدمة لوظيفة الحرف ومعناه، ليولد لنا دلالة إعجازية قرآنية لم ولن يشهد لها تاريخ الحضارات الإنسانية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر، 3)، ختمت هذه الآيات بفاصلة الراء المقفلة بالسكون، كما تكرر حرف الصاد لما له من « تفخيم يتناسب وفخامة المقول، ويزيد من علو طباقته الصوتية مجاورة الراء المفخمة، هذا إلى التدرج في طول الجمل بحيث توحى بالانتقال بالخطاب من الشدة

والقوة والفخامة البالغة في الآية (والعصر) إلى درجة أخف في الآية الثانية، ثم تختتم السورة بأطول آياتها، وكأنَّ في ذلك إشارة إلى اللين والرفق بالمؤمنين الذين عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، إنَّك لتشعر مع هذا الامتداد والهدوء بزمان ممتد طويل يملؤه المؤمنون بعمل الصالحات واستمرار التواصي بالحق والتواصي بالصبر « (محمد محمد داود،))، حرف الراء المخفمة التي تزاوجت مع حرف الصاد الذي يحمل من الحمولة النطقية ما يشعرا حين النطق به بجوار الراء بالفخامة والعلو، فلولا فخامة الصاد وتكرير الراء لما شعرنا بشعور القوة التي انطوت عليه دلالات الآية.

في نفس السياق، نجد في قوله جل جلاله ما يوضح قولنا: « هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدها فيها وذوقوا عذاب الحريق » (الحج 19-20)، ما نلاحظه في هذه السورة الكريمة تردد حروف القلقة في نهايات الفواصل، وهي حرف " الدال والقاف" فقد ذكرت حرف الدال في لفظة "الجلود، الحديد" وحرف القاف في لفظة "الحريق".

واستناداً لما أشرنا إليه سابقاً نستطيع أن نقول بأنَّ النسق الصوتي لفواصل الآيات القرآنية، يرتفع إلى عدّة ضوابط سنتطرق لها فيما هو لاحق، وذلك مراعاة لنسق العام للآيات، ولعل قضية التقديم والتأخير ساعدت في انسيابية الأصوات وتناسقها، وتسلسلها تسلسل يضمن لها الرنن الموسيقي مع مراعاة الدلالة تأخذ على سبيل الذكر لا الحصر من الذكر الحكيم.

التقديم والتأخير مراعاة لنسق الفواصل:

يقول جل جلاله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ﴾ (سورة الضحى)، قد تقدم المفعول به في الآيتين، وهو اليتيم في الأولى، والسائل في الثانية، « وحقه التأخير في صناعة الإعراب، وقد جاء ذلك مراعاة لنسق الفاصلة من جهة، وإلى الاختصاص من جهة أخرى، للعناية في الأمر » (محمد حسين علي الصغير، 1420-2000)، وفي سورة طه يقول عز وجل: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۚ﴾ (سورة طه، الآية 20)، « فإنَّ هارون وزير لموسى، وأهمية موسى سابقة له، وقدم هارون عليه رعاية لفواصل آيات السورة. (محمد حسين علي الصغير، 1420-2000)

زيادة حرف ما في الفاصلة وعناية للبعد الصوتي:

يقول السيد خضر: « يكثر في الفواصل حذف الحرف الأخير من الكلمة » (السيد خضر، 1420-2000)، وذلك عناية ورعاية للفواصل ونسقتها، « وعناية بنسق البيان في سر اعتداله » (السيد خضر، 1420-2000)، ومثل ذلك في القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠﴾ (سورة الأحزاب)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ٦٧﴾ (سورة الأحزاب)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ٦٦﴾ (سورة الأحزاب)، يبدو أن إلحاق هذه الألف في "الظنون"، "السبيل"، "الرسول" « يشكل تلقائياً ظاهرة صوتية تدعو إلى التأمل » (محمد حسين علي الصغير، 1420-2000)، فزيادة الألف في أواخر الفواصل إنما أضيفت رعاية للنسق الصوتي للفواصل.

وإذا ما جئنا لتفنيد قولنا هذا فلننظر إلى سورة الأحزاب: «فإن فواصلها كلها بألف مد ناشئ عن الوقف على تنوين النكرة ما عدا الآيتين المذكورتين فالفاصلة فيهما معرفة، وآية أخرى فاصلتها السبيل ولأجل إجراء الفاصلة في الآيتين المذكورتين زيدت الألف في المعرف بالألف واللام، وهو غير معتاد في النثر العربي، ولكن القرآن كما نذكر مراراً يراعي الفاصلة تماماً، ويغير ويزيد ويحذف لأجلها » (السيد خضر، 1420-2000)، فلا قواعد نحو ولا مراعاة بلاغة تعلو على القول الحكيم بل قوله الذي بلغ مبالغ الفصاحة وأعجز فطاحلتها.

حذف حرف ما رعاية للبعد الصوتي، وعناية بالنسق القرآني:

يقول عز وجل: ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾ (سورة الفجر)، ويسر: " فعل مضارع مرفوع وحذفت ياؤه تخفيفاً وموافقة للفواصل السابقة واللاحقة وهي " الفجر وعشر والوتر وحجر " (السيد خضر، 1420-2000)، « فقد حذفت الياء من يسري موافقة للفاصلة فيما يبدو » (محمد حسين علي الصغير، 1420-2000)، هذا الحذف الذي راعى الأبعاد الصوتية للأنساق القرآنية ومدى تناسقها مع بعضها البعض تطرق إليها الرافي بنوع من التمحيص والتدقيق ووجدها، « متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً، يُلائم نوع الصوت، والوجه الذي يُساق عليه، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن » (مصطفى صادق الرافعي، 1973)، ولفت انتباهنا لما تحمله الفاصلة القرآنية من رنن موسيقى وهذا ضمن نسقها المعجز.

لزوم ما لا يلزم:

لا يخفى علينا أنَّ القرآن الكريم اشتمل على إنزياحات نحوية متعددة، ولزم في القرآن ما لم يلزم في غيره من الخطابات، «وهذا اللون قليل في القرآن، ولكنه في المواضع التي ورد فيها جاء دالا على بلاغة القرآن العليا» (السيد خضر، 1420-2000)، نحو قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠﴾، وهذا يعبر عن لزوم حرف واحد قبل الفاصلة وهناك أمثلة أخرى يلزم حرفين أو ثلاثة أحرف قبل الفاصلة.

تغيير بينية الكلمة لأجل الإيقاع:

ومن شواهد ذلك في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالرَّيْثُونَ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣﴾ (سورة التين)، إن ما ورد سنين هو طور سيناء، وهو نفسه الوارد في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين) (السيد خضر، 1420-2000)، «ولكن اللفظ في سورة التين جاء فاصلة مسبوقه ومتبعة بفواصل النون المسبوقه بحرف المد، ولهذا غيرت بنية الكلمة» (السيد خضر، 1420-2000).

وفي ظل الإغراءات التي حفل بها الحقل البلاغي، في سبيل تنقيح الملفوظات العربية، وفي سبيل ترتيب هذه الملفوظات ترتيبا سلميا، يتمخض عنه انتقاء اللفظ المناسب للمقام الذي يليق به، ولتمكين التطريب والترنيم الأصوات داخل النسق الصوتي الواحد، وما دامت الفاصلة ضمن هذا النسق الذي نتحدث عنه، فلا بأس أن نلتفت إلى تلك السمات الإعجازية، التي تمكنت لها، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

5-1- النسق الصوتي المتماثل أو المتقارب في الفاصلة القرآنية:

وهنا يرى الرافعي أنَّ النسق الصوتي الذي انبنت عليه الفواصل القرآنية، هو نسق تواشجت ضمنه متطلبات الفصاحة والبلاغة العليا بدرجة أولى، ومن تم يُراعى قضية تماثل وتقارب تلك الحروف المشكلة للنسق اللفظي داخل الكلمة الواحدة نستدل على قولنا هذا من كتابه المبين، يقول عز وجل: ﴿وَالطُّورِ ١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾ (سورة الطور)، وردت هذه الفواصل (مسطور، منشور، المعمور) في نسق متماثل، وهناك نسق آخر متقارب كقوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ (سورة الفاتحة).

5-2- النسق الصوتي المختوم بحروف المد واللين للفواصل القرآنية:

وببدو أنَّ أفضل من قدم لهذا الموضوع صورة واضحة سيبويه عندما قدم لنا تلك السمة الصوتية التي تضمن لمنطوقاتنا أو ملفوظاتنا التطريب والترنم، والتي تمثلت في إلحاق حروف المد واللين بالملفوظ، في قوله: « إنَّهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنَّهم أرادوا مد الصوت » (سيبويه).

وما يمكن أن نخلص إليه أنَّ بُلغاء اللغة العربية وعُلماءها قديمًا وحديثًا، تدارسوا قضية النسق الصوتي للألفاظ العربية وأولوا اهتمامهم بالنسق الصوتي للفواصل القرآنية، لكن نمط الدراسة اختلف عن ما كان عليه في السابق فقد كان يُراعى في اللفظ العربي مدى تلائم حروفه وسهولة نُطقه وهُجران الصعب منه « ولذا فضل البلغاء على الدوام الكلمات السهلة فاستعملوا الطويل مكان العشيق، والعجوز يدل الحيزيون، فمالت اللغة على الدوام إلى هجر الألفاظ صعبة النطق » (السيد خضر، 2000-1420)، لكن هذا النوع من الدراسة ما لبث حتى ضبط قوانينه القرآن الكريم حين راعى تلائم الحروف داخل النسق الصوتي للألفاظ حتى ولو ضحى بإحدى قوانينه النحوية التي تحكم تلك الأنساق، ولذا جاء الخطاب القرآني مزاجًا عن ما ألفه العرب في كلامهم.

وخلاصة الحديث يمكننا القول بأنَّ اللغويين القدامى تحدثوا عن موضوع النسق الصوتي للفواصل القرآنية، وفرقوا بين السجع والفاصلة وهذا مبحث قد سبقنا إليه العديد من الباحثين فلا نجد جدوى من طرقة في مقامنا هذا، وباتكاء على ما قال به القدامى في هذا المضمار، استحدث علماء اللغة المحدثين بما تأتى لهم من إمكانات تجريبية دقيقة، فاستطاعوا أن يخضعوا الفاصلة القرآنية للدراسة المخبرية الصوتية « وصار البحث يتجه في الدراسة الصوتية لهذه النهايات » (السيد خضر، 2000-1420)، ونتائج هذا البحث الصوتي المستحدث أكد فكرة أنص الأسلوب القرآني، «عني بكلمة الفاصلة عناية كبيرة، مراعيًا تشابه أو تشاكل أصوات الكلمات أو أوزانها أو كليهما معًا، مراعيًا الانسجام الموسيقي للفواصل التي تقع في الأعم الأغلب عند تمام المعنى، فيحصل لهذا الإجراء الأسلوبى تعاضد عاملين بنائين باتجاه واحد: المعنى إذاً هو المطلوب أولاً، معتمداً على بديل مهم هو حسن تقديم المعنى، وبدائل أخرى، ذلك أنَّ الجمال لا ينحصر في مستوى واحد » (ابن جني، 1954)، لذلك جاء أسلوب القرآن الكريم متميزاً عجز عن الإتيان به فطاحله اللغة العربية، لم يشهده العرب قط، وبذلك العدول عن المألوف حقق أسلوبية إعجازية لم تطاولها أسلوبية خطابية أخرى، هذا النسق المحبك الصنع، الدقيق الاختيار لم يكن بمعزل، بل ارتبط ارتباطاً لا تنفك عُقده عن سياقه العام، فقد تواشجت الفاصلة بنسقتها الصوتي الرائع مع سياقها لبناء الخطاب القرآني بناءً محكمًا، لو حاولنا إزاحة حرف أو حركة منها

لسقط الشكل الهندسي للخطاب القرآني، وإذا ما سقط الشكل سقط المعنى، وإذا ما سقط المعنى سقط الإعجاز، فهي ترابعية هندسية يستدعي بعضها البعض.

وقد ذكر ابن سنان الخفاجي ما يتعلق باللفظة الواحدة من الأوصاف، وقسمها إلى عدة أقسام «كتباعد مخارج الحروف، وان تكون الكلمة جارية على العرف العربي غير شاذة، وأن تكون مصغرة في موضع يعبر به عن شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه، وأن لا تكون مبتذلة بين العامة، وغير ذلك من الأوصاف، وفي الذي ذكره مالا حاجة إليه» (ابن الأثير)، ويضرب لذلك عدّة أمثلة فمنهم قوله: « وكذلك تقول حلم من الحلم، وهو الأناة، وإذا عكسنا هذه الكلمة صارت ملح على وزن فَعْلَ بفتح الفاء وضَمّ العين، وكلاهما أيضا حسن مليح، وكذلك تقول : عقر و رقع وعرف وفرع وحلف وفلح» (السيد خضر، 1420-2000)، فانظر إلى ذلك الفرق الذي يؤديه المخرج من الانحدار إلى الصعود في تكلف اللسان في النطق ممّا يحسن هذا ويُثقل ذاك.

الخاتمة:

إن هذا النسج العلائق لتركيبية الخطاب الفونولوجي ملامح الدرس الفونولوجي عند العرب في شتى تمظهراته العلمية، كما رأينا، القائم على صميمية الترابط بين أسيقة الخطاب الفونولوجي وبنائه الصوغي ووفقا لسلمية بنائية (صوت، مفردة، تركيب)، يعكس صورة المجتمع اللغوي من خلال الخطاب العلمي وماهي أهم سلوكاته في شتى الظروف الاجتماعية.

ومن هنا ارتهنت فيما سبق إلى التراتبية التصاعدية لكيقونة التخلق اللغوي (لغة الخطاب اللغوي العلمي والفكري) الموجه بفعالية الأنموذج اللساني الإنساني بوصفه سلوكا اجتماعيا يحاول صوغه وصناعة الأنموذج المقصود في تشكيلة المجتمع وربطه بالهدف العلمي المنشود، والذي تسيره ثبوتية العرف وتحولاته الطارئة في كينونته المشكلة لطبيعة الإنسان بصفة عامة.

1. المصادر والمراجع:

- 1- أرتور شاده، علم الأصوات عند سيويه، تر: صبيح حمود التميمي، مجلة آداب الرافدين، العدد 58، سنة 2010.
- 2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، 1989، ط 5.
- 3 إدريس مقبول، سيويه معتزليا، حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، ط 1.

- 4 بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، المدارس اللسانية المعاصرة (ط الآداب). الناشر. مكتبة الآداب، القاهرة .
- 5 تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، المغرب، دار الثقافة في الدار البيضاء، ط1، 1974.
- 6 جون كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تعريب: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966 .
- 7 سيويو، الكتاب، المحقق: 7 عبد السلام هارون · حالة الفهرسة: غير مفهرس · الناشر: الخانجي · عدد المجلدات: 5.
- 8 عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية. ترجمة: غير موجود. سنة النشر: 2014 .
- 9 محمود فهي حجازي مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1.
- 10 د. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة (ط الآداب).. الناشر. مكتبة الآداب، القاهرة.
- 11 جون كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تعريب: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966.